

محاضرات وندوات مصورة - الأردن - جامع التقوى - الحلقة ٠٢٠ : سر الوجود .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٠٩-١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ،
وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .
اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى
جنات القربات .

سر الوجود :

أيها الأخوة الكرام ؛ الإنسان أحياناً يميل إلى التفاصيل ، وهذه حاجة عنده في الموضوع العلمي ،
وأحياناً يميل إلى الكليات ، فالبطولة أن توازن بين الكليات والتفاصيل ، لذلك هناك مرض خطير
خطير خطير سماه علماء النفس :
الغرق في الجزئيات .

إنسان جاء إلى الدنيا له عمل تجاري ،
عمل صناعي ، عمل وظيفي ، في
مشكلات بعمله ، يتابع هذه المشكلات
متابعة دقيقة جداً وينسى سر وجوده
وإغاية وجوده ، ينسى أنه خلق في
الدنيا ليعبد الله ، والعبادة ثمن الجنة ،
خلق لجنة عرضها السماوات والأرض
، لذلك قالوا :



ما كل ذكي بعقل ، قد تحمل شهادة في الفيزياء النووية أرقى اختصاص في العالم ، فيزياء
نووية، ولا تعد عن الله عاقلاً ، لأنك ما عرفت سر وجودك ، ولا غاية وجودك ، لأنك زهدت
بالآخرة ، كلمة أبد ماذا تعني ؟ يعني الحقيقة في مفهومات دقيقة جداً .

الآن : أنا مثلاً أضع واحد وأمامه ثلاثة أصفار ، ثلاثة أخرى مليون ، الثلاثة الثالثة ألف مليون ،
الثالثة الرابعة مليون مليون ، طيب ، واحد هنا وأصفار إلى الحائط الآخر الي مواجهي ، ما هذا
الرقم ؟ طيب واحد بالأرض ، وأصفار للشمس ، ١٥٦ مليون كم ، وكل ميلي صفر ، ما هذا
الرقم ؟ هذا الرقم دقق إذا نسب إلى اللانهاية صفر ، أي رقم ، الواحد بالأرض والأصفار إلى

الشمس ، الواحد بالأرض والأصفار إلى المجرات ، نحن ضمن درب التبانة الشمس ، ودرب التبانة مجرتنا ، في بهذا الدرب على شكل مغزلي ، شكل عضلة يعني ، درب التبانة هذه المجرة المتواضعة ، في مئات آلاف الملايين من المجرات ، هذه واحدة منهم ، متواضعة جداً شكلها على شكل مغزلي ، فيها نقطة ، النقطة هي ، المجموعة الشمسية كلها .



يصعب تصور الأبد

أنت من ؟

أنت لا شيء !!!

فالأبد إذا غفلنا عن الأبد غفلنا عن كل شيء .

﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾

﴿ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

[سورة الثورى الآية : ٤٥]

﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾

[سورة الحج الآية : ١١]

لذلك ورد في بعض الآثار النبوية :

((إن العار ليلزم المرء يوم القيامة حتى يقول يا رب لإرسالك بي إلى النار أيسر علي مما ألقى))

[أخرجه الحاكم عن جابر بن عبد الله]

الندم ، مخلوق للأبد ، مخلوق لجنة عرضها السماوات والأرض ، وأسباب الجنة بين يديك .

﴿ لَا يَكْفِيُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا ﴾

[سورة البقرة الآية : ٢٨٦]

ما كلفك ، ما حرمك النساء ، تتزوج .

﴿ مَتْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾

[سورة النساء الآية : ٣]

ما حرمك المال ، اشتغل ، ما من شهوة أودعها الله بالإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تسرب خلالها ، يعني الشهوة تشبه البنزين بالسيارة ، هو سائل ، لكنه سائل متفجر ، فإذا وضع البنزين في المستودع المحكم في السيارة ، وسار هذا البنزين في الأنابيب المحكمة ، وانفجر في الوقت المناسب وفي المكان المناسب ، في المحرك يعني ،



لم يحرم الله الإنسان من تحقيق شهوة لكن جعل لكل شهوة قناة نظيفة

ولد حركة نافعة ، قد تقلك في العيد إلى العقبة ، ما الذي يجري في السيارة ؟ انفجارات ، لكنها منضبطة ، فالشهوة حينما تتحرك من خلالها وفق منهج الله لا شيء فيها إطلاقاً والدليل :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدَىٰ مِنَ اللَّهِ ﴾

[سورة القصص الآية : ٥٠]

عند علماء الأصول في معنى مخالف ، المعنى المخالف الذي يتبع هواه وفق هدى الله لا شيء عليه ، يعني اشتهيت المال اشتغلت ، اشتهيت المرأة تزوجت ، اشتهيت المكانة العلية عملت أعمال صالحة ، الله رفعك .

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

[سورة الشرح الآية : ٤]



يعني في ثلاثة حاجات للإنسان بالمناسبة ، في حاجة للطعام والشراب حفاظاً على بقاء الفرد ، هذه حاجة .

﴿ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ

الشَّجَرَةَ ﴾

[سورة الأعراف الآية : ١٩]

كم نوع من اللحم متاح لنا ؟ والله بالآلاف ، بس قال لك لحم الخنزير ، وكم شراب متاح ؟ بالآلاف ، قال لك الخمر .

﴿ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾

فالمحرمات أمام المباحات واحد بالمليار ، طيب فالإنسان حينما يأتي إلى الدنيا يعرف سر وجوده، وغاية وجوده ، لا شيء يعلو على هذا الهدف ، فالدنيا كلها صفر أمام الآخرة صفر .

مرة أحد شيوخ الأزهر عاش مئة وثلاثين سنة أحد الشيوخ الذي عمل شرح المفردات على هوامش المصاحف ، مخلوق عاش مئة وثلاثين سنة ، والسنة مثل المئة والثلاثين ، مادام في موت الحياة هكذا .

لذلك أخوانا الكرام ؛ العبرة في الحياة لا بالزمن ، في الإنسان عنده عمر زمني يقول ترعنه العلماء النفس : هذا أنفه أعمار ، في عمر عقلي ، في عمر إيماني ، في عمر عاطفي ، في أعمار كثيرة ، أرقى هذه الأعمار عمر الإيماني .

يعني واحد زار بلدة وجد مقبرة ، هذا
عايش سنة وحدة ، سنتين ، أربعة ،
خمسة شيء عجيب ، بلدة كله سنة
سنتين ثلاثة ، لكن هم يسجلون التاريخ
بعد ما تاب إلى الله ، استقام على أمره .
أنت أمام حياة أبدية ، مين يقدر أن
يقول ما في موت ؟ والله أنا من أسبوع
تقريباً ، لي قرية هنا قريبة تلوذ بي ،
توفيت ، القبر هنا غير القبر في الشام



، يعني حفرة متوازي المستطيلات كبيرة كثير ، وضعوها في قعر الحفرة ، وفي جدارين
صغيرين ، وفي شي خمس بلاطات ، بعدين في شي تقريباً سبعين سانتى تراب ، ساكنة بيت
أربعمئة متر ، سيارتين ثلاثة ، سهرات ، لقاءات سفر ، سياحة أولاد ، كنانن ، بنات ، أصهار ،
هذه البطولة أن تعد لهذه الساعة التي لا بد منها ، مين يقدر يقول أنا ما بموت ؟ .
كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو الجلال والإكرام .

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول
فإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم أنك بعدها محمول



واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى
غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا .
في عنا بالشام نوعات تلصق على
الجدران في كل مدينة ، سألت واحد
بمكتب الموتى قال لي يموت مئة بالشام
باليوم ، وتقريباً خمسين منهم لهم
نوعات ، يأتي واحد يقرأ : فلان الله
يرحمه ، هذا عميد أسرته ، هذا طبيب
، هذا مهندس ، هذا تاجر ، هذا رجل

أعمال ، هذا هذا ألا تعتقد يقيناً أنه في أحد الأيام لا بد من أن يقرأ الناس نعتك ، والله هذا الذكاء
يا أخوان ، هذه البطولة هذا العقل ، هذا الفهم ، هذا التفوق ، أن تعد لهذه الساعة ، والإعداد سهل
جداً ، عبادة الله وعمل صالح ، فقط ، الكلمة الطيبة صدقة ، ابتسامة بوجه أخوك صدقة ، أن
تكون زوج رحيم صدقة ، أب كامل صدقة ، صانع متقن صدقة ، الأعمال الصالحة لا تعد ولا
تحصى ، فلعبارة أن أعيش المستقبل ، أكثر الناس يعيشون الحاضر والماضي ، شو تشتغل بالله ؟

والله أنا مهندس ، أين درست ؟ بأمريكا ، يحكي لك عن واقعه وعن ماضيه ، من هو الذي يتحدث عن مستقبله ؟ المستقبل خطير ، في حدث خطير .

لا تبعد إذا واحد كان في بلد نفطي ،
ودخله كبير ، وكتبوا له على الجواز
مغادرة بلا عودة ينخلع قلبه ، مغادرة
بلا عودة ، ونحن جميعاً لا بد من أن
نغادر ثم لا نعود ، يعني ألم تروا
جنازة تمشي ؟ هذا إنسان مثل حكايتنا ،
له زوجة ، له أولاد ، له أخ ، له
صغار ، كبار ، معارف ثقافة ، خبرات
، حرفة ، وظيفة مثلاً ، كله تركه ،



وحطوا بالقبر ومشوا .

فلذلك أخوانا الكرام ؛ كل ذكائك ، وبطولتك ، وعقلك ، وفهمك ، ونجاحك ، وتوفيقك أن تعد لهذه
الساعة ، ومالك محروم من شيء أبداً ، لكن كل شهوة الله أودعها فيك عمل لك قناة نظيفة
طاهرة.

يعني عفواً بالأعراس يطلقوا للسيارات أبواقها ، ما بيستحوا ؟ لا ما بيستحوا ، هذا وفق شرع الله
الزواج ، شرع الله ، بالعرس يفرحوا كثير ، يطلقوا أبواق السيارات ، وزينات ، هو معروف
اللقاء لقاء زوجي بالعرس بصير ، لا ما بيستحوا لأنه وفق منهج الله عز وجل .



فأنت اعتقد الإسلام عظيم ، ودين
متوازن ، ودين ما أغفل شيء من
حاجاتك ، أنت بدك تأكل وتشرب من
أجل بقاء الفرد .

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾

[سورة الأعراف الآية : ٣١]

بدك زوجة من أجل بقاء النوع ،
تزوج.

﴿ مَتْنِي وَتَنَاتِ وَرُبَاعِ ﴾

وتحتاج إلى تفوق ليشار إليك بالبنان ، هذا فلان ، أول مهندس ، أو طبيب ، أول أول ، أول ،
تفوق ، الحاجة إلى الطعام مؤمنة ، والزواج مؤمنة ، والتفوق مؤمنة ، هذا بقاء الذكر ، في بقاء
الفرد بالطعام والشراب ، بقاء النوع بالزواج ، بقاء الذكر بالتفوق ، كله مؤمن ، ليش لا نقف
وقفه قبل أن نموت من حاسب أنفسنا ؟ أين أمشي أنا ؟ هذه الحرفة فيها حرام ، هذه المادة محرمة
في عليها طلب كثير يقول لك ، طاولة الزهر ، عليها طلب كثير ، لكن :

من لعب النرد فكأنما وضع يده في لحم خنزير .
ما في تقول في عليها طلب ، أنت مؤمن في معك منهج ، التاجر فقط يهمله البيع والشراء ، حرام
حلال بدبر حاله ، أما المؤمن يهمله طاعة الله عز وجل ، يعني وقفة متأنية ، بعدين بصراحة ،
وأنا واحد منكن ، إذا واحد طلع عن الأربعين ، يعني بصراحة هل بقي له بقدر ما مضى ؟ لا ،
أغلب الظن لا ، ممكن لكن حالات نادرة ، فوق الثمانين نادر ، هل بقي له بقدر ما مضى ؟ فإذا
مضى الذي مضى كلمح البصر ، مبارح كنت طفل صغير ، وعندك صدرية ، وعم تروح
عالمدرسة ، وتأخذ جلاء ، وعشرات أخذ ، وأبوك فرح فيك ، وبعدين حفظت الفاتحة ، وكل ما
جاء ضيف تعا اسمعه الفاتحة كنت صغير .

شفت مرة بالمطار طفل يمكن خايفين
بيؤدي نفسه ، عاملين له حفاظات مو
معقولة كبيرة كثير صار مثل الكرة ،
قلت لو هذا صار وزير بعدين ينسى
حالو أنه كان يضعوا له حفاظات
ويضعوا له شغلات ، هذه الحياة .
فأنت عش المستقبل ، أخطر حدث في
المستقبل مغادرة الدنيا مغادرة من كل
شيء إلى لا شيء ، ما في بيت ، ما



في سيارة ، ما في سهرة ، ما في دور كل ثلاثاء ، ما في سياحة ما في طعام لذيذ ، في قبر فقط ،
هذا القبر ما في أحد يستجرب أن يشك فيه بدنا نموت فالبطولة لا أن نؤمن بالموت ، أن نستعد له ،
فقط ، كل الناس يؤمنون بالموت ، لكن بعضهم يستعد له والاستعداد له بالاستقامة والعمل
الصالح ، وأنت مالك محروم من شيء إطلاقاً فلذلك :

كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت .

والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر

والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر

وكل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول
فإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول

لي صديق بالشام والده من كبار الأغنياء ، يعني البيوت بالشام ، خمس ملايين ستة سبعة ، عشرة ،
عشرين ، بيته ثمنه ١٨٠ مليون ، بأرقى أحياء دمشق ، أربعمئة وخمسين متر الجدران
مزدوجة من أجل العزل ، قسم شرقي ، قسم عربي ، شيء مو معقول إطلاقاً ، على أول الشتاء
تأتيه حرامات من فرنسا ، ما لها وزن ، هذا أعلى أنواع الصوف مو هير ، عايش حياة تفوق حد
الخيال ، توفي ، هو ابنه صديقي ، أنا يجب أن أكون بالجنازة ، القبر الذي اشتروه ، فتحوه
وجدوا فيه مياه سوداء ، مياه مجاري ، فلتانة عليه مياه المجاري ، ما وجد حل ، سألوه ، قال
ضعوه ماذا نفعل ؟ نظرت هكذا أنا ! واحد منقول من بيت ٤٥٠ متر ، شيء تحار به العقول ،
في عنده فازات للسقف واصلة ثمنها مليون ، فازات زينة ، هو تاجر تحف كان ، وعنده أموال
طائلة ، هذا الإنسان وضعوه بقبر فيه مياه سوداء مياه مجاري ، ما لها حل يريدون أن يمشوا ،
في عدد كبير بالجنازة طالع ، فتحوا وجدوا مياه مجاري ووضعوه ، أنا بقيت جمعة لا أستطيع أن
أكل ، ما هذا ! كل بطولتك ، وكل ذكاؤك ، تعد لهذه الساعة ، هذا القبر قد يكون روضة من
رياض الجنة ، قد يكون مد بصرك ، وقد يكون والعياذ بالله حفرة من حفر النيران .



فلذلك أخوانا الكرام ؛ قضية الدين
قضية خطيرة جداً ، قضية مصيرية ،
يعني سعادة للأبد أو شقاء للأبد .

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِيَّاءُ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ

حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾

[سورة مريم الآية : ٧١]

والآية كثير دقيقة ، يعني كلنا على
جهنم رايعين ،

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ ﴾

إن حرف نفي ، ما منكم واحد إلا وسيرد النار ، العلماء قالوا من باب التطمين : ورود النار غير
دخولها .

أن تكن وزير داخلية ، يأتيك وزير داخلية بريطاني ، أحببت أن تريه أن بلدك متقدم جداً تريه
السجن البلد ، أخذته على السجن ، هذا مو سجين هذا زائر ، هذا وزير ، لكن جاي على السجن
وارد ، مو سجين .

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِيَّآ وَآرِدْهَا ﴾

لأن الله أسماء الحسنى كلها محققة في الدنيا ، إلا اسم العدل محقق جزئياً ، الله يكافئ بعض المحسنين تشجيعاً للباقيين ، ويعاقب بعض المسيئين ردعاً للباقيين ، الحساب الختامي يوم القيامة ، يرد النار الإنسان المؤمن ليرى عدل الله المطلق ، الذين ساهموا بشقاء البشرية ، الذين يقتلون الناس ليل نهار ، لكن مرتاحين ، قاتل خمسمئة ألف



ومرتاح ، ويبتسم عالشاشة ، كأنه عامل عمل بطولي ، شعب أعزل تضربه بالصواريخ ، وبالطيران ، وبالمدافع ، ما عنده هذا الجيش مساوي للجيش مقابله ، في جيش مقابل جيش ، مو شعب مدني قاعد بيوت كلها آمنة ، قصف قصف قاتل شي أربعمئة ألف يبتسم إذا كان طلع بمؤتمر صحفي ، هذا يجب أن ترى محله بالأخير .

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِيَّآ وَآرِدْهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾

اللهم اهدينا فيمن هديت ، وعافينا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، واقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرما ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارضى عنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين